مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣٣/٢٠١٢ هـ.ق، العدد ١٩ (٣) ٧٧-٩٣

موتيف الإغتراب في شعر يحيى السماوي

رسول بلاوي[١]، مرضية آباد[٢]، عباس طالب زاده شوشتري[٣]، عباس عرب[٤]

تاريخ الوصول: ١٤٣٣/٣/٢٥ تاريخ القبول: ١٤٣٣/٧/٢٨

لقد حظى البحث عن الموتيف باهتمام واسع في النقد الأدبى الأوربي باعتباره عنصراً فعالاً في النقد وتحليل النصوص الأدبية. وأصل كلمة «الموتيف» فرنسية، تعني في الأدب الفكرة الرئيسة أو الموضوع الذي يتكرر في النتاج الأدبي أو المفردة المكرّرة أو الحافز والباعث.

والإغتراب والذي يعني ابتعاد الإنسان عن وطنه الأم قد يصير موتيفاً عند الشاعر إذا اضطرّ أن يعيش بعيداً عنه وعن كل ما يؤنسه ويحبّه فيكرره ويحوم حوله من قريب أو من بعيد ويتحدّث عما ينتابه من مشاعر سلبية.

تهدفُ هذه الدراسة التي اعتمدت في خطتها على المنهج الوصفي – التحليلي، إلى الكشف عن الموتيف وتوظيفه في شعر الشاعر العراقي المقيم في استراليا يحيى السماوي، لتجيب عن الأسئلة التالية: ما هو سبب إلحاح الشاعر على الإغتراب وتكراره؟ وما هي الموتيفات والرموز المتعلقة بهذا الموضوع؟ وما هي دلالاتها وإيحاءتها الرمزية؟ والإغتراب بما فيه من القلق النفسي والمرارة والحزن سرى في هيكل شعر السماوي في كلماته وعباراته وصوره ومعانيه؛ فقد طُرِد من وطنه الحبيب فعاش غربة جسمية كما أن التزامه بقضايا وطنه وإحساسه المرهف جعلاه يعيش غربة روحية وفكرية. وقد توصلنا في هذه الدراسة إلى أن الإغتراب من أهم الموتيفات في شعر السماوي والذي ينقلنا إلى أجواء الشاعر النفسية وينطوي على محاور تعود إلى إحساسه بالغربة، وأهمّها الحزن والموت والمرأة والحنين، وبعض الرموز التي تدل على الغربة كالطيور المهاجرة والحمامة والبحر والريح.

الكلمات الرئيسية: الشعر العراقي، الموتيف، يحيى السماوي، الإغتراب، الحنين، الرمز.

---

١. طالب دكتوراه فرع اللغة العربية وآدابها في جامعة فردوسي مشهد، r.balawi@yahoo.com

٢. استاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها جامعة فردوسي مشهد، mrz_abad@yahoo.com

٣. استاذ مشارک في قسم اللغة العربية وآدابها جامعة فردوسي مشهد

٤. استاذ مشارک في قسم اللغة العربية وآدابها جامعة فردوسي مشهد

المقدمة

التعريف بالموتيف

الموتيف مفردة تعني الحركة، الإثارة، الإلحاح والدافع. وأصل الكلمة هو بهذه الهيئة، والإستعمال المتداول لها كان في الغة الفرنسية، وقد دخلت في اللغات العالمية الأخرى. وتستخدم كلمة «الموتيف» في فنون وعلوم مختلفة، منها: الرسم، والنحت والهندسة والمعمارية، والموسيقى، والحياكة، والخياطة، والتصوير والأدب.

و الموتيف في الأدب يعني الفكرة الرئيسة أو الموضوع الذي يتكرّر في العمل الأدبي، أو المفردة المتكررة، أو الحافز والباعث (طه، ٢٠٠٤م: ٢٠٨).

تُعرّف كلمة «موتيف» بشكل عام بأنها الجزء المتكرر والمستمر الحامل لمعنى أو قيمة ثقافية، والذي يدخل في تكوين الشكل (البنية .. إلخ) أو المحتوى لمختلف أنواع الإنتاج الثقافي (الشامي،٢٠٠٧م: ٢٩).

وفي دراستنا هذه بحثنا كثيراً عن معادلٍ للموتيف في اللغة العربية فلم نعثر على شيءٍ؛ أما في اللغة الفارسية فقد تُرجِم هذا المصطلح بـــ (بن مايه)، أو (درون مايه)، أو (نقش مايه)، وبرأينا هذه الترجمة ليست معادلاً دقيقاً للموتيف؛ لأنّ التكرار هو السمة الغالبة على الموتيف في الأعمال الفنية والأدبية، وهذه الترجمة لا تدلّ على هذا الجانب.

الموتيف قد يكون كلمة (فعلاً أو اسماً أو حتى أداة)، وقد يكون فكرة أو جملة أو تعبير يتكرر في مرحلة ما، عند شاعر محدد، أو شعراء مرحلة من المراحل، أو يصبح «لازمة» تتكرر في فترة تاريخية معينة. ومن أمثلة ذلك في الأدب العربي فكرة (الهامة) وهي روح القتيل التي تصيح طالبةً للثأر، والوقوف على الأطلال، وعيون المها، أو «الأنا» عند المتنبي، و«حدثني عيسى بن هشام» في مقامات الهمذاني، و«أدركت شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح» في ألف ليلة وليلة، وكذلك التأريخ في الشعر في العهد المملوكي، والمرأة في شعر نزار قباني، أو الحارة المصرية في روايات نجيب محفوظ، أو صورة اللجوء والشتات الفلسطيني، أو الحنين للفردوس المفقود أو الأندلس الجديدة في الشعر الفلسطيني بعد النكبة، وصورة الحجر في شعر الإنتفاضة الفلسطينية (طه، ٢٠٠٤م: ٢٠٧).

أهمية الموتيف

الموتيف يساعدنا على معرفة أسلوب الشاعر، كما يشير إلي القضايا والأفكار التي كانت تشغل ذهنه. وإذا وجد عند شاعر من الشعراء إنما يوضح تلك العلاقة الحميمة والتلاحم الكبير بين هذه الصور والمعاني وبين الواقع النفسي للشاعر وتوجهاته وآرائه. كما أنّ الشاعر يستخدم الموتيف ليضخّ من خلاله ما يتراكم في داخله وما يعتمل في صدره، وليفرّغ الشحنات التي تتصادم وتقدح بين أضلاعه كعملية تنفيس وتخليص.

لا يخفى أنّ تكرار فكرة أو صورة أو رمزٍ ما حتى يصبح موتيفاً، يعني أهمية تلك الفكرة أو الصورة أو الرمز عند الشاعر، حيث تضجّ وترغي في رأسه حتى تملأ عليه نفسه، بمعنى أن للموتيف دلالة نفسية، تشير إلى انهماك الشاعر في بُعد معين أو استغراقه في فكرة ما، ثم «تبدأ له من تراث إنساني وروحي، وكأنك تحس بها قد أغلقت دونه كل طريق، فحيثما إتجه يمثلها هناك، فإذا هو أغلق نفسه دون الأشياء، إصطدم بها كذلك في أعماق نفسه» (اسماعيل، ١٩٧٢م: ١٦٦). ثم يقلبّها ويمدّها بشرايين جديدة تعطيها القوة والحيوية والألق، وتحقق لها حضورها وفاعليتها.

والموتيف لا يقوم فقط على مجرد تكرار اللفظة في السياق الشعري، وإنما يقوم على ما تتركه هذه اللفظة من

أثر انفعالي في نفس المتلقي، وبذلك فإنه يعكس جانباً من الموقف النفسي والإنفعالي، ومثل هذا الجانب لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة الموتيف داخل النص الشعري الذي ورد فيه، فكل موتيف يحمل في ثناياه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الشعري، ولولا ذلك لكان تكراراً لجملة من الأشياء التي لا تؤدي إلى معنى أو وظيفة في البناء الشعري، فالموتيف إحدى الأدوات الجمالية التي تساعد الشاعر على تشكيل موقفه وتصويره في إثراء الدلالات والبناء الشعري.

يُعد الموتيف في شعر السماوي من الظواهر التي تستخدم لفهم النص الأدبي؛ ولا يقوم فقط على مجرد التكرار في السياق الشعري، وإنما ما يتركه هذا التكرار من أثر انفعالي في نفس المتلقي، فإنه يعكس جانباً من الموقف النفسي والإنفعالي. وقد حاول الشاعر أن يجعل من الموتيف أداة جمالية تخدم الموضوع الشعري، وتؤدي وظيفة جمالية تساعد على إثراء الدلالات، وتكشف عن الإلحاح أو التأكيد الذي يسعى إليه.

خلفية البحث

لقد ظهرت أوّل دراسات معمّقة وخصبة حول الموتيف في الأعمال الأدبية في الأوساط الثقافية الغربية. وأوّل دراسة في هذا الصدد، هي الدراسة التي أعدّها «استيت تامسون» أواخر الستينات من القرن العشرين تحت عنوان «معجم موضوعات الأدب العالمي». والدراسة الثانية في هذا المجال هي دراسة «اليزابت فرنزيل» الآلمانية التي أثرت المكتبة العالمية بكتابين هما: «مضامين الأدب العالمي» و«موتيف الأدب العالمي»، وقد إهتدي بهما الكثير من الباحثين (تقوي، ١٣٨٨هـ. ش: ٨ و٩).

وقد حظي اليوم البحث عن الموتيف باهتمامٍ واسعٍ في النقد الأدبي الأروبي والأمريكي باعتباره عنصراً فعّالا في النقد وتحليل النصوص الأدبية.. وقُدّمت دراسات وكتب ومقالات ومعاجم وموسوعات عديدة حول الموتيف والمضامين.

لكننا في الأدبين العربي والفارسي لم نعثر علي دراسات حول الموتيف قبل عقدين من الزمن، فقد دخل هذا المصطلح مؤخراً ومن خلال النقد الأدبي الغربي..و علي الرغم من ذلك لم يحظِ بدراسات معمّقة في هذين الأدبين بل أشار له بعض النقاد والباحثين في طيّات دراساتهم النقدية معرضين عن أصوله وجذوره.. ولعلّ دراسة محمد تقوي عن الموتيف الموسومة بـــ «موتيف چيست وچگونه شكل می‌گيرد» (ما هو الموتيف و كيف يتشكّل) والتي تمّ نشرها بـــمجلة «نقد ادبی» في جامعة «تربيت مدرس» هي الفريدة من نوعها في هذا المجال.

أما الدراسات التي نالت قصب السبق في تجربة السماوي نخصّ منها بالذكر كتاب حسين سرمك حسن، الموسوم بـــ «إشكالية الحداثة في الشعر السياسي: يحيى السماوي أنموذجاً»، وكتاب محمد جاهين بدوي الموسوم بـــ «العشق والإغتراب في شعر يحيى السماوي»، وكتاب فاطمة القرني الموسوم بـــ «الشعر العراقي في المنفى: السماوي نموذجاً»، وكتابي عصام شرتح الموسومين بـــ «آفاق الشعرية: دراسة في شعر يحيى السماوي» و«موحيات الخطاب الشعري: دراسة في شعر يحيى السماوي».

أما الدراسات التي تناولت تجربة السماوي الشعرية في إيران، فقليلة جدا منها: رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير في جامعة تربيت معلم بمحافظة آذربايجان وعنوانها «مفاهيم المقاومة في شعر يحيى السماوي» باللغة الفارسية للطالبة «ليلا جباري كيلانده» تحت إشراف «عبدالأحد غيبي».

ورسالة أخرى للماجستير في جامعة رازي بمحافظة كرمانشاه وعنوانها «الأسلوبية في شعر يحيى السماوي» للطالب «بهنام باقري» تحت إشراف «يحيى معروف». لكن كل هذه الدراسات والبحوث المقدّمة لم يتطرّق أصحابها إلى موضوع الموتيف في شعر السماوي.

و قد تطرّقنا في هذه الدراسة إلى موتيف الإغتراب في شعر يحيى السماوي كنموذجٍ للموتيفات الموضوعية التي ترد كثيراً في شعره، ثمّ تناولنا أهمّ الموتيفات التي تتولّد من مفهوم الإغتراب كالحزن، والموت، والمرأة والحنين. أمّا المنهج الأسلوبي الذي اتخذناه طريقاً لهذه الدراسة، فلا يقف عند عملية رصد الموتيفات وإحصائها في النص، وإنما يتجاوز ذلك إلى عملية النقد والتحليل والتوضيح للمعاني التي ينطوي عليها العمل الإبداعي، والعلاقات اللغوية التي تكشف عن خصوصية الرؤية من ناحية، وعن القدرة الفنية التي يتمتع بها المبدع من ناحية أخرى.

وقد تكون للموتيف وظيفة رمزية. فالمفردات (الموتيفات) عندما تتكرّر في أعمال الشاعر تحمل دلالات وايحاءات رمزية.. بعبارةٍ أخرى تكرار العنصر الفعّال في النص لكي يصبح موتيفاً يضفي عليه إيحاءات ودلالات جديدة تؤهّله ليكون رمزاً كموتيف الحمامة، والخيمة، والبحر والريح .... كلّ هذه المفردات المكرّرة في شعر يحيى السماوي؛ أصبحت رموزاً (موتيفات) تدلّ على حالته الإغترابيه.

مفهوم الإغتراب

الإغتراب في اللغة افتِعَالٌ من الغُربَة، والغربةُ والغُربُ: النزوح عن الوطن ... والإغتراب والتغرّب كذلك (ابن منظور: مادة غرب).

يقول أحمد جواد مغنية في تعريف الغربة: «الغربة عن الأرض هي ابتعاد الإنسان قسراً عن وطنه الأم، فيضطره القهر أن يعيش بعيداً عنه، ويشعر بمرارة الغربة عن الأرض لأن طموحه يتعارض مع ما هو حاصل فوقها من قمع للحرية، واغترابه عن الأرض يستمر طويلاً، ويعتبر عودته إليها للموت فقط» (مغنية، ٢٠٠٤م: ١٩). وبرأينا أنّ هذا التعريف ينطبق تماماً على مفهوم «النفي» دون الغربة، لأنّ الإنسان قد يتغرّب عن وطنه متعمّدا لا مرغماً. ولو أنّ النتائج الحاصلة من الغربة والنفي قد تؤدي إلى حالة واحدة – وهذا ما يهمّنا في هذه الدراسة– إلا أنّ المنفى يبقى ملازماً للقهر والطرد من أرض الوطن. فيبدو أن مفهوم الغربة أوسع من المنفى، فهي تلك الحالة التي يعيشها الإنسان بعيدا عن أرض الوطن أيما كانت أسبابها ودوافعها. إنّ شريحة غير قليلة من أبناء الشعب العراقي آثرت سبيل الهجرة لتجد متنفّساً في بلاد الغربة. وبطبيعة الحال فإنّ عدداً لا بأس به من هؤلاء، ومعظمهم من الطبقة المثقّفة هم من الشعراء والأدباء الذين جعلوا يبثّون شكاواهم، وما تعتلج به صدورهم في أبيات من الشعر ودواوين صدرت لهم، تتفق جميعا في قضايا كثيرة من حيث المفهوم والمحتوى، أهمّها الإغتراب والشعور بالحنين إلى الوطن، والتغنّي بأمجاده، ورثاء جروحه العميقة (دلشاد، ٢٠٠٨م: ٦٩).

يحيى السماوي واحدٌ من الشعراء العراقيين الذين عانوا من التشرّد خارج البلاد، وواحد من الشعراء الذين نجد مضمون الإغتراب بكثافة في نصوصهم. والمتصفّح لدواوين السماوي الصادرة بعد غربته يلاحظ كثافة إلحاح الشاعر على مفهوم الإغتراب في نصوصه، ومن خلال رصدنا لهذا الموتيف في دواوينه وإحصاء القصائد التي تتحدّث عن الغربة كلّها أو بعض أبياتها قد نحصل على نسبة تقارب السبعين بالمائة بالقياس إلى الموتيفات أو الأغراض الأخرى لدى الشاعر. والجدير بالذكر أنّها قد سُجّلت أعلى نسبة لمفهوم الإغتراب في دواوينه الثلاثة «هذه خيمتي .. فأين

الوطن؟» و«نقوش علي جذع نخلة» و«البكاء علي كتف الوطن». فمن خلال عيّنة إحصائية قمنا بها، وصلنا إلى أنّ الشاعر تطرّق إلى مفهوم الإغتراب في أربع وعشرين قصيدة من الديوان الأول الذي يضمّ بين دفتيه خمس وثلاثين قصيدة؛ وفي ستّ عشرة قصيدة من الديوان الثاني الذي يضمّ خمس وعشرين قصيدة؛ وفي عشرين قصيدة من الديوان الثالث الذي يحتوي على ثلاثين قصيدة.

الإغتراب في شعر السماوي

الإرتحال عن الوطن يولّد إغتراباً مكانياً لا تنفتح معه إلا أبواب الوحشة ولا يصبح العالم إلا ثقب إبرة. والإنسان لولا ظروفه الحرجة واضطراره ومطاردته، لما فارق الأحبة وأرض الوطن من تلقاء نفسه. والسماوي من هؤلاء الذين فُرِض الإغتراب عليهم فرضاً، يقول عن سبب اغترابه وهروبه من العراق: «فأنا لم أهرب من العراق بحثا عن رغيف عافية أو خيمة أكثر ظلالا ... لقد هربت خوفا من حبل مشنقة، كنت على مبعدة أشبار منه في ظل النظام السابق» (الطالبي، موقع المثقف، **٢٠١١ م**)؛ فحينما حاصره رجال الأمن ذات ليلة لم يجد أمامه إلّا الهروب من وطنه مصطحباً معه الحزن والرُعب:

وحينما **حاصرني المغول ذات ليلة**
عبرتُ **سور الوطن المذبوح**
زادي قلقـــي **وكوثري رُعبي!** (هـــذه خيمتي.. فأين الوطن؟: ٧)

والمغول رمز لكلّ ظالم ومستبد. وهنا يرمز بها إلى رجال حزب البعث الذين أرغموا الشاعر على مغادرة وطنه العراق.

وفي موضع آخر يؤكد الشاعر أن غربته لم تكن بحثًا عن وطن مستعار أو هوية جديدة، وإنما لكي لا يكون قاتلاً أو مقتولاً في وطن كثر القتل فيه:

عبرتُ الحدود
لا بحثاً عن هويّة جديدة
إنما كي لا أكون قاتلاً أو قتيلاً
فأنا لا أجيد مهنة القتل
في وطنٍ بات مسلخا (مسبحة من خرز الكلمات: ٥٧)

السماوي يدرك في جلاء ووضوح أبعاد تجربته منفيّاً ومغترباً، داخل العراق أو خارجه، وبخاصة في الإحساس بمقدمات هذه التجربة وأسبابها على الصعيد السياسيّ، وإستشعارا لتبعاتها ولوازمها، على شتى الجوانب الإجتماعية والنفسية والفنيّة، وهذا ما يعربُ عنه في مكاشفة مُبينَةٍ مباشرةٍ؛ حيث يقول: «إنني قد عشتُ الغربةَ في الوطن، حين أصبح العراق في ظلّ نظام صدام حسين غابة مشانق، بعدما كان بستان شعرٍ وخيمةَ محبةٍ، الأمر الذي جعل الهروب من الوطن أمنيّةً ومطمحاً جماهيرياً ...، أما وقد نجحتُ في اجتياز الحدود؛ فقد بقي العراقُ الحاضر الغائب والجنّة الموعودة، واكتشفتُ أنه كلما زدتُ ابتعاداً عنه، إزددتُ قُرباً منه، واتّحاداً به، شأني في ذلك شأن جميع أحرار العراق، والذين طحنت الديكتاتورية عصافيرَ أحلامهم، ومن حسن حظي أنيّ وجدتُ في الشّعر وطناً مستعاراً، نصبتُ فيه خيمتي، ونثرتُ في حقوله الشاسعة بذوري؛ فكانت قصائدي صرخات احتجاج حيناً، ونافذة أطلّ منها على الوطن أحياناً، وربما اتخذتُ منها مناديلَ أُخبّئُ فيها دموع القلب والروح...، وهذا ما خفّف من وطأة الإغتراب، وعمّق من إحساسي بكون الشّعر جسراً يربط بين ضفّة المنفى وضفّة الوطن» (بدوي، ٢٠١٠م: ٦٧ و٦٨).

ومن خلال قراءة هذه السطور المضيئة الكاشفة يتبيّن لنا مدى وعي شاعرنا بحقيقة مُغتربه، وطبيعة منفاه، فلقد بدأ هذا الإغتراب بداية سياسية، برفضه السلطة القمعية الإستبدادية، ومخاصمته إياها، ثم إمتدّ ليكون نائياً مكانيّاً، ثم

تصعّد هذا الشعور ليكون نائياً مغترياً روحياً، ثم عاد وقد تسامى على السلطة السياسيّة، والحدود المكانية؛ فأصبح جسراً متأوّلاً من الشّعر إلى حقيقة الوطن الغائب، وأقام منه في نفسه وطناً بديلاً من الرؤى والأحلام:

عبرتُ سور القحط والأحزان

أُفَتّش في الملاجئ عن غد الإنسان

و عن وطنٍ جميلاً كان! (عيناك لي وطن ومنفى: ١٢٣)

و مهما يكن من شيء فإن أصداء تجربة الإحساس الأعمق بالنفي والإغتراب بأوجهه الحسّيّة والمعنويّة هي النغمات السائدة على فضاءات الرؤية الشعريّة لدى السماوي.

لقد عكس شعره حياته إنساناً مشرداً هارباً من الديكتاتورية، لاجئاً بعيداً عن وطنه المثخن بالجراح، ورمته وطنيته المخلصة على شواطئ الغربة، فلم يكتب إلا بما يتصل بحياته ومحنة وطنه «العراق»، حتى عُدّتْ كل هذه العوامل محنته الذاتية، فكان في منفاه صورة عن وطنه المنفيّ من خريطة العالم.

لقد أحبّ السماوي وطنه العراق وعشقه مما دفع ثمناً غالياً لهذا الحب:

عَقَدَت – ولا نَدَمٌ – عليه قرانها

روحي فَمَهري – غربةٌ – وصِداقي

أخفَقتُ في عشقي فكنتُ طريدهُ

إنّ التغرّبَ منتهى الإخفاقِ (نقوش على جذع نخلة: ١٦٦)

عقد الشاعر قرانه على وطنه العراق غير نادمٍ فكانت الغربة مَهره. إنه دفع بنفسه إلى الإغتراب في سبيل حبّه للوطن ولكنّه أخفق في هذا الحب عندما أصبح طريداً بعيداً عن محبوبته الوطن.

وفي إطار سعي الشاعر يحيى السماوى للتعبير عن مواقفه ورؤاه في الغربة تعبيراً فنيّاً موفقاً اهتدى إلى استخدام مجموعة من وسائل التعبير الفنية الحديثة، وتوظيفها في البناء الفنى لقصائده من لغة شعرية موحية، وصور فنية مدهشة، وتناص، وإيقاعات نغمية ثرة، ومفارقات تصويرية، واستلهام معطيات التراث وعناصره، ذلك أنّ القصيدة العربية الحديثة لم تعد عملاً بسيط التكوين ... بل هي نسيج محكم تشكله وتغذيه جملة من العناصر، لعل أهمّها ذاكرة الشاعر وما تجيش به من مخزون معرفي ووجداني. ففي ما يلي يحيلنا الشاعر إلى قصة زكريا (ع) التى وردت في سورة مريم :

أعرفُ أنّ تنّورك

لن يجود على صحنى بالرغيف ...

فلا تبخلي على جرحي

بالرماد ...

وطنيني واحتك ...

فقد بلغتُ من الغربةِ

عتيا! (شاهدة قبر من رخام الكلمات: ١١١)

الجملة الأخيرة تناص مع القرآن الكريم: «وقد بلغت من الكبر عتّيا» (مريم /٨). وظّف الشاعر نص الآية بتحوير طفيف فقد أبدل لفظة «الكبر» بلفظة «الغربة»، فالشاعر حاول أن يحوّر في النص القرآنى فأدخله في سياق جديد يتماهى ورؤيته التى يريد الإفضاء بها، وقد أعطى للآية دلالة أخرى نفهمها من السياق الشعرى في القصيدة، إذ أخذت القصة بعداً دلالياً جديداً مع الإحتفاظ بالشحنة المعنوية الدينية للنص الغائب في سياقه الجديد (النص الحاضر). ويبدو في الوهلة الأولى أنه مجرّد اقتباس، ولكن بما أن الشاعر جعل الآية تتحدث عن نفسه متقمّصاً دور زكريا (ع) فقد أعطاها بعداً آخر بما يتناسب مع السياق.

والمشهد يصوّر لنا معاناة الشاعر في الغربة فقد أقبل يخاطب وطنه كي يفسح له مجالاً للعودة والتوطّن فيه ولا يطمع السماوي برخاء العيش في العراق فهو قانع بالقليل

وهو شفاء جرح الغربة بالرماد فقد أرهقته هذه الغربة وقضى ردحاً من الدهر مشرّداً بين البلاد حتى جاوز الستين من عمره ولعلّه أراد أن يلمحَ إلى هذه القضية. فقد بلغ بالفعل من الكبر عتيا في الغربة واستدعاء الشاعر لهذه الآية الكريمة بما تحمله من دلالات مأساوية، تستحضر «الكبر» في ذهن المتلقي بصورة لا شعورية.

يعيش الشاعر في استراليا غربتين؛ غربة الوطن وغربة اللسان فاللغة في استراليا هي اللغة الإنكليزية فالشاعر غريب اللسان، واستراليا ليست وطنه الحقيقي فهو غريب الدار أيضاً... فطالما نجد السماوي يكرّر «الغربتين» في شعره، حتى أصبحت هذه اللازمة موتيفاً أساسياً في شعره:

حالي بدارِ الغربتينِ خُطىً

مشلولةٌ فاستفحلَ البُعدُ (البكاء على كتف الوطن: ١٠٥)

كذلك يصف حالته في الغربة والبُعد عن الوطن العراق:

معذورةٌ إن تقتلي متأبداً

في الغربتينِ عن العراق شقيّا (السابق: ١٢٠)

فهذه حالة الإنسان المغترب الذي يبتعد عن وطنه (حبيته) مرغماً ويختار سواها من الديار:

أرفيقةَ العمرينِ ما حالُ الفتى

في الغربتينِ لو اختار سواك (السابق: ١٤٠)

و أيضاً يقول:

يشكو لساني من جفاف بيانه

في الغربتين فأصحرت غاباتي (نقوش على جذع نخلة: ٧٠)

فكما نفهم إن المقصود بالغربتين؛ غربة الوطن وغربة اللسان، فلسانه أيضاً يشكو من الجفاف في البيان، حيث تتحول غاباته إلى صحاري قاحلة.

وفي ظل هذه الظروف القاسية التي يمرّ بها الشاعر في غربته نجد معظم نصوصه تتّسم بصبغة التوتر والقلق والحزن والشعور بالموت حتى أصبح «الحزن» و«الموت» في شعره من الموتيفات التي تتّصل بمفهوم الإغتراب. وإذا ما تتبّعنا نسبة هذه المفردات في القصائد التي تتحدّث عن الإغتراب، سنلاحظ أنّ أكثر من سبعين بالمائة من هذه القصائد تطرّقت إلى مفهوم «الحزن» و«الموت».

موتيف الحزن

السماوي من الشعراء الذين يتضح الحزن في أشعارهم، فهو شاعر الدمعة المنسكبة على مآسي الحياة، تعرّض لمعاناة قاسية في حياته، فقد مرّ بمحطات حزن لا يستهان بها من موت ابنه البكر، وموت أمه، وملاحقته من قبل حزب البعث، ثم غربته عن الوطن واحتلال العراق.. إلى آخر هذه المواجهات العنيفة مع الحياة، ومن ثم تأثّرت شاعريته بهذه المواجهات.

و في المنفى أخذ يتابع أخبار الوطن الجريح ويتألّم لألمه ويحزن لحزنه وكأنه ما غادر العراق لحظة؛ ومن خلال شعره نلاحظ أنّه أغرق نفسه بلجة الحزن على الوطن والتماهي معه حتى امتزجت روحه به، يقول:

عجبتِ لانَّ «بعضا» من عناءِ

يكاد يغص – ياليلى – بماءِ؟

فكيف بعاشق في دار منفى

يكاد يغص حتى بالهواءِ؟ (عيناك لي وطن ومنفى: ١٥)

إكتوى يحيى السماوي بنيران الغربة والبعد عن الوطن الحبيب وجاء شعره ليعكس لنا آلامه وأوجاعه ومعاناته، إنّه يعاني إغتراباً شديد الوطأة على النفس. ومن شأن هذه الوطأة أن تولّد مشاعر حزينة تصل، في كثير من الأحايين، إلى حد الإختناق:

الحزنُ أوفى الأصدقاء.. فلم يَغِب

عني فكان مُلاصقي كإزاري (البكاء على كتف الوطن: ٣٦)

لم يغب عنه الحزن في غربته فكأنه ملازماً له، وهذا الحزن هو وليد الغربة وحبّه للوطن، كما نجد أنّها تتفاقم وطأته على الشاعر حيث يقول:

أنا أمةٌ في الحزن لا نفرٌ

أمّا الهوى فأنا به الفرد (السابق: ١٠٩)

كما يرى نفسه في الحزن وارثاً لأبيه سيزيف فقد ورث منه الألم والعذاب:

«سيزيف» كان أبي

فأورثني عذابات التجلّدِ (هذه خيمتي.. فأين الوطن: ١٤٢)

نرى الشاعر في هذا المقطع يستدعي إسطورة «سيزيف» التي ترمز إلى العذاب والشقاء والمعاناة ويتماهى معها بصورة فنّية مثيرة للإنتباه. وهذا التأثير المثيولوجي (الأسطوري) في بث حالته الإغترابية دليل على إحساسه الحزين الذي يخفي وراءه مرارة وجراحاً عميقة في منفاه الوجودي.

وقد كتب الشاعر قصيدته «سادنُ الوجعِ الجليل»، للتعبير عن الواقع الإغترابي المعيش والغربة عن الوطن، فالإغتراب هو أكثر المدلولات التي سيطرت على أجواء القصيدة، يقول فيها:

أنا ســـــادنُ الوجـــعِ الجليـــلِ خَبَرْتُهُ

طفــــلاً...وها قاربتُ يومَ ذهـــــابي (البكاء على كتف الوطن: ٧٤)

إنَّ القصيدة هي رثاء حزين للذات، رثاء فيه من المرارة والحزن والإغتراب، مما يجعلها تدمع عين متلقيها وتصبي فؤاده، فكل كلمة تبثّ إحساس الشاعر بالوجع، والمرارة الداخلية، وكأنها صرخة من صرخاته الداخلية المكبوتة، لتفتح هالة في فضاء الوجود، معلنة أفول العمر واقتراب ميعاد الرحيل.

موتيف الموت

إنَّ هذا الشعور الإغترابي بالرحيل والإحساس بدنو الأجل هو شعور ملازم للمرء في عالمه الإغترابي، عندما يكون المرء بعيداً عن الوطن، إذْ أنَّ هاجس الموت يلازمه كظله لدرجة يحسب القارئ أنّه يسكنه في كل لحظاته، وهذا الشعور مرده الخشية من الموت، وهو في بلاد الغربة دون أن يرى الأحبة، والأصدقاء، والأهل، ويكحل عينيه بثرى الوطن:

ستون.. لا أهلاً بقافلةٍ

تدني ذئابَ الحتفِ من حَمَلي! (لماذا تأخرتِ دهراً؟: ٤٢)

وتلبّد هذه المشاعر في مساحة الوجدان حري أن يلفت نظر الشعر إلى تفحص الحياة وجدواها، وأن يحدق في الموت — النتيجة الحتمية للمخلوقات:

حانَ ترجلي من صهوة الأحلام..

آن لي التدّثرُ بالتراب (ن.م ٣٥)

فالشاعر يرى موته بسبب الغربة:

غربي إن شئتِ موتاً للهوى

و إذا شئتِ خلوداً شرّقي (ن.م ١٦٧)

يرى الإغتراب / الغرب موتاً لعشقه وبالتالي موتاً له فيحنّ إلى العراق / الشرق ويجد فيه الخلود والحياة. ويقول في مكان آخر:

الوطن استراحَ مني..

و أنا استرحتُ منه..

لأنني منذ تمّردتُ عليه متُّ! (قليلك لا كثيرهنّ: ٩٨)

فالسماوي منذ أن غادر العراق / الوطن أحسّ بموته وضياعه في العالم، وأراد بهذا الموت أن يواسي وطنه:

جئتك الآن أواسيك بموتي..

ألحديني صدرك الطفل

انسجي لي من مناديل المراثي كفناً.. (البكاء على كتف الوطن: ٣٦)

يخاطب السماوي في هذا المقتبس الوطن باعتباره الأم التي يغامر بحياته من أجلها مواسياً لها بموته، متمنّياً لو يُدفن على صدرها فقد يخجله الموت في الغربة:

أتعبني العشقُ وطول الليل والسكوت

يُخجلني لو أنّني في غربتي أموت (عيناك لي وطن ومنفى: ٧٨)

الرؤية التي يقدمها السماوي ليست رؤية تجربة، لأن الموت لا يجرب، وإنما رؤية وعي تتكىء على رؤيته للحزن.

وحسبنا أن نشير إلى شبكة توزيع الألفاظ الدالة على الموت في شعر السماوي.. ففضلاً عن مفردة الموت هناك ألفاظ تبرز قضية الموت وقد تكررت في المعجم الشعرى للسماوي كالقبر، الكفن، النعش، التابوت، القتل، المقبرة والجثة... وهي ألفاظ تحمل الموت في تفاصيله الواقعية، من غير أن تفلسفه أو تأخذ منه موقفاً فكرياً أو عقائدياً.

موتيف المرأة

في هذا السياق لا تغيب المرأة عن مسارات قصائد السماوي، لتؤكد حضورها؛ بوصفها باعثة على الأمل، والتجدد، وتغيير منظوره للحياة، لتدل على مظهر آخر من مظاهر تفاعله الوجودي؛ فالإحساس بالفحولة والحب هي من مثيرات التفاعل الوجودي؛ لمجابهة الحياة، ومعاناتها، وشقاوتها المؤلمة (شرتح، ٢٠١١م: ١٤٦).

فالمرأة تمثل له الحضن الآمن الذي يأوي إليه في لحظات الإغتراب واليأس، فهي المبددة لجراح الإغتراب والأحزان:

في آخر العمر اكتشفتُ

أنّ لي طفولة ضائعة

جاء بها حبّك

فاستعدتُ ما أضاعهُ المنفى (قليلك.. لا كثيرهنّ: ٤١)

فهي السكن الروحي الذي يمنحه الأمان والهدوء والإستقرار بعد رحيله عن وطنه والعيش في منفاه الوجودي؛ وهي التي تبث في روحه دفق الحياة وبصيص الأمل في تحفيز الإبتكار وخلق الإبداع؛ في مثل هذه الحالة الحزينة التي يعيشها الشاعر في الغربة لا يجد أمامه إلا أن يلتجأ لحبيبته لتخفّف من وطأة الهموم والأحزان، فيخاطبها:

أضيئي ليلَ مُغتربٍ

عقيم النجمِ والقمرِ

وُلُودَ الهمّ والأحزان

داجٍ بائسَ الوطرِ(نقوش على جذع نخلة: ١٣٨)

وقال أيضاً مخاطباً هذه الحبيبة:

صوتُك مزماري

دجّنَ أفعي الحزن في حديقتي (م.ن: ١٧٠)

لقد تسلّى السماوي بهذه المرأة / الحبيبة في غربته فطالما تغنّى بها واتّخذ صوتها مزماراً له، ليُخفّف من شدّة الحزن المستفحل في حديقة عمره.

موتيف الحنين

يرتبط الحنين إرتباطاً وثيقاً بالغربة في الشعر، فعندما يبتعد الإنسان عن مكان ما، يشعر بحنين إليه، ويشتاق لكل ما فيه. فالغربة تقود إلى «الحنين وهو الشديد من البكاء والطرب، وقيل هو صوت الطرب كان ذلك عن حزن أو فرح. والحنين: الشوق وتوقان النفس، والمعنيان متقاربان، حنّ إليه يحنّ حنيناً فهو حانّ.. يقال حنّ قلبي إليه فهذا نزاع واشتياق من غير صوت» (مغنية، ٢٠٠٤م: ١٦)، «يقال حنّ عليه، عطف عليه. وحنّ إليه أي نزَع اليه» (ابن منظور: مادة حنّ).

فالحنين هو الشوق وتوقان النفس إلى شيء محبوب بَعُد عنها، وقد يكون الحنين إلى الحبيبة أو إلى الأهل أو إلى أيام

الصبا أو إلى الوطن. والحنين يكون بعد فراق، فالفراق يولد الحزن، وحين نكتم هذا الحزن أو نذرف الدموع، نعبر عن حزننا وألمنا، أما الشاعر فإنه يترجم هذه الأحاسيس شعراً، ويطوعها بما يمتلكه من قدرة على التعبير عما يجيش في نفسه، فيصوغها شعراً؛ لذا فإن من الطبيعي ألا يتكيف الشاعر مع حاضره، وهو ما يشعره بالإنعزالية والوحدة، ونتيجة لذلك تمتلئ نفسه بالكآبة والقلق (المرزوقي، ٢٠٠٥م: ١٤٥)؛ وهذا ما حصل للشاعر العراقي يحيى السماوي الذي فجر سنين غربته بأشعار ينضح فيها الحب والحنين.

قال الأستاذ عبد المقصود خوجه في المقدمة التي كتبها لديوان السماوي «قليلك لا كثيرهنّ» واصفاً تعلّق الشاعر بوطنه العراق وحنينه إليه: «عندما حل الأستاذ الشاعر الكبير يحيى السماوي باستراليا مواطناً له من الحقوق والواجبات ما لأي مواطن استرالي وذلك عام ١٩٩٧ م، كنت على يقين بأنه لن يغير جلده أو يخلع قدميه من طين «السماوة» ليركض بهما في ساحات ومتنزهات «سيدني» بل سيظل أبدا طفل النخل في غابات «أديلايد» يحن باستمرار إلى رغيف التنور... لم يخب ظني أبداً، فقد ظل شاعرنا الكبير وفيا لحنجرته ومبادئه وقاموسه...». (خوجه، ٢٠٠٦م: ٧)

يترك السماوي، بملء ارادته، الواقع الإسترالي، بكل ما يحمله من جمال وتطوّر وحضارة ورقي، لينغمس في حرارة الصحراء العراقية بكل ما تحمله من دفء، واحتضان، وتاريخ عريق، وبكل ما يحمله إليها من حنين، يتجلّى في قصائد طالعه من قلب المأساة وكأن الشاعر ما غادر العراق قطّ؛

و قد كنتُ الفتى المصداح لكن
تعطّل بعد تشريد لساني
أحنّ اليك برديّاً ووحَلاً
وصحراءً وغابةَ سنديانِ (هذه خيمتي.. فأين الوطن: ٧٩و٨٠)

من الصعوبة أن يعيش الإنسان جسدياً في مكان، وفكرياً في مكان أخر. وكأنّ هذا الجسد لا يتحسّس ما حوله، ولا يستغرق في جمالية المكان، ولا يستعذب بريق الحضارة الجديدة على طريقة شعراء الأندلس. أو كأنه يعتبر أنّ الخروج من الزمن العراقي إلى أي زمن أخر، أشبه بالخيانة.. فطالما نراه يتغنّى بمدينته "السماوة":

الله! ما أحلى السماوة.. صُبحُها
صافٍ صفاءالضوء في المرآةِ
فتّانةٌ.. حتى نباحُ كلابها
خلف القرى يُغوي ثُغاءَ الشاةِ (نقوش على جذع نخلة: ٧٨)

و أيضاً يقول فيها:

و يا سماوة قنديلي به عطشٌ
لنجمِ ليلك.. لو عادت ليالينا! (هذه خيمتي.. فأين الوطن: ١٣٣)

لليل دلالات سلبية، إذ يدلّ على الظلم والإستبداد ولكن الليل في هذا البيت يدلّ على السعادة والرفاهية واجتماع الأحبة، فنرى الشاعر يحنّ ويشتاق لهذه الليالي التي قضاها في أحضان طبيعة السماوة مجتمعاً بالأحباب والأصدقاء الذين يعزّ على الشاعر الآن أن يلتقي بهم:

أحبابَنا عزّ اللقاءُ وآذنت
شمسي قُبيلَ شروقها بغيابِ
أحبابَنا في الدجلتين تعطّلت
أعيادُنا من بعدكم أحبابي (البكاء على كتف الوطن: ٨١)

و أعلى نسبة للحنين في شعر السماوي تُوجَد في دواوينه التالية: «هذه خيمتي .. فأين الوطن؟» و«نقوش

على جذع نخلة» و«البكاء على كتف الوطن» و«زنابق برية» وكل هذه الدواوين صدرت بعد رحيل الشاعر إلى استراليا. وقد رصدنا موتيف «الحنين» فيها فوجدناه يرد في أكثر من خمسين بالمائة من قصائد هذه الدواوين.

رموز الإغتراب

نقصد بمعجم الإغتراب هنا: الألفاظ التي تكرّرت في شعره ودلّت على الإغتراب أو الشعور به. ولن نتطرق لألفاظٍ مثل: الغربة، المنفى، ... وما شابه ذلك، بل إلى ما يفضي إليها مثل: الطيور المهاجرة، الحمامة، البحر، السفينة، الماء، الريح،... وهي مفردات ترتبط بمفهوم الإغتراب وتتكرّر في دواوين السماوي حتى أصبحت موتيفات أو رموزاً تحمل دلالات جديدة يستخدمها الشاعر ويعبّر من خلالها عن رؤاه وأفكاره في الغربة. وفي مايلي سنتناول كلاً منها على حدة:

الطيور / الحمامة

من أهمّ المفردات الدالة على الشعور بالغربة؛ تلك التي تشير إلى الطيور المهاجرة، أو التي تحنّ إلى أعشاشها ومن أبرز هذه الطيور هي الحمامة.

فقد اتخذ الشعراء من هذا الطائر وسيلة للتعبير عما رسخ من مكبوت نفسي مؤلم، وللتعبير عن الاستجابة الخاصة التي يبديها الإنسان الشاعر للطبيعة، فالعذاب والنوح الذي تعلنه الحمامة هو المكافئ الخارجي لانفعال الشاعر الداخلي ولحزنه وألمه ونوحه على من رحل عنه، وكأن ما تعلنه الحمامة ينسجم مع ما يكنه الشاعر في نفسه، وكأنها أيضاً تعبر عن مكبوته وما يحتضنه من ألم. ويعتقد «حسن جبار شمسي» أن رمز الحمامة في الغزل العربي القديم لا يحوم إلا في هذا الجو ولا يدل إلا عليه ولا يوحي إلا به (شمسي، ٢٠٠٨م: ١١٦).

وللعلاقة التي تربط الشعراء العشاق بالحمامة أصول رمزية لأنّها «رمز للمأوى ورمز للخلود ورمز للخصوبة والأنوثة والوداعة، ثم هي رمز للحزن والشوق والصبابة والبكاء، ثم هي رمز للألفة المشهورة من تآلف الحمام» (الطيب، ١٩٧٠م: ٣/٩١٠).

ومما يذكره الأبشيهي عن طبع الحمام قوله «ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو كان في مسافة بعيدة، وربما صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه، حتى يجد فرصة فيطير ويعود إلى وطنه...» (الأبشيهي، ١٩٥٢م: ٢/١٢٣)

والحديث عن الحمامة وأشواقها وهمومها هو حديث الشاعر عن نفسه، وعن حبه وأشواقه، فالحمامة كانت قرينة الشعراء العشاق في غربتهم وحنينهم واشتياقهم وأحزانهم ولواعج صدورهم، وكل هذه المعاني حدت بهم إلى مشاركتها عواطفها وأحاسيسها والتجاوب مع نوحها.

والحمام في شعر السماوي ليس ذلك الطير المعروف في الخطاب اليومي العادي، وإنّما يتحول إلى عنصر رمزي يُشكل البناء الشعري، ويفتح عوالم الرؤية على مساحات الوطن والكون، كما يبتعد عن السياق ليعانق الرؤى الآتية، فهو يحمل رمز الهجرة والبعد عن دفء الوطن، لكن – كذلك – يحمل شوق العودة إليه، وهي الدلالة التي يبحث عنها الشاعر / الإنسان في وطنه:

يا من أسرتَ غدي أغِث أملي:
إيّاك تُرخي – أسري – صَفَدي
سَيَضيعُ لو أطلقتَ مختبلاً
طارت حمامتُهُ ولم تَعُدِ (نقوش على جذع نخلة: ٤٧)

و أيضاً يقول مخاطباً حبيبته:

بينك والفرات
آصرة...

كلاكما يسيل من عينيّ

حين يطفح الوجدُ

و حين تشتكي حمامةُ الروح

من الهجير في الفلاة.. (قليلك لا كثيرهنّ: ١٦)

لا بدّ للشّاعر داخل هذه الدّوامة والدّائرة الجهنّمية من راحة هي أشبه باستراحة المقاتل.. حينما يتحوّل قلبه إلى طائر يمضي – أو يسري – به إلى الوطن الحبيب.. العراق مَسْقَط الرّوح، كما جاء في قصيدته «طَيْرٌ أنا قلبي» من ديوان «قلبي على وطني»:

طَيْرٌ أنا قلبي، إذا سكن الدُّجَى

يمضي به نحو العراق جَنَاحُ (١٩٩٣م: ١٥٩)

وأيضاً قوله مخاطباً الشاعر الدكتور غازي القضيبي:

أأبا سهيلٍ ما لسرب طيوري

نَضبَ الهديلُ بها وجَفَّ غديري؟

لا الأرضُ من حولي تدور فألتقي

أهلي.. ولا دار الهوى بسرورِ! (هذه خيمتي.. فأين الوطن: ١٨٨)

يبقى السماوي في غربته يحنّ ويشتاق لأحبته وأهله بالعراق، ومن شدّة مضاضة هذه الغربة ووطأتها على نفسه يجد الهديل نَضُبَ في سرب طيوره.

البحر

يشكل البحر مساحة مضيئة في الذاكرة العراقية وبخاصة اللاجئين الذين أجبروا على الرحيل عبر البحر. فالبحر حافظة للحكايات التي يرويها الأجداد للأحفاد عن تفاصيل المعاناة التي مازالت بصماتها ماثلة في وجدانهم. ويوظّف الشاعر الموروث البحري لإبراز الأبعاد السياسية للقضية العراقية؛ ولا يخفى أن الخوف والخطر في سياق القصيدة البحرية مستوحٍ من الموروث البحري للاجئين في زمن النكبة.

استخدم السماوي «البحر» رمزاً للرهبة والخوف، وارتياد المجهول، يقول:

نمضي معاً – إن شئتِ – نورستي..

فالبحر – رغم هدوئهِ – خَطِر (عيناك لي وطن ومنفى: ٥٤).

لقد شحن الشاعر السياق بشحنة شعورية، استطاعت أن تجعل «البحر»، في النص، ذا دلالة وظيفية تشير إلى الخوف والرهبة.

وطبقاً لهذا الكشف الدلالي، فإنّ النص يبتعد عن الأبعاد المعروفة لهذا الرمز، إذ أنّ البحر، كما يقول يونغ، «يرمز إلى اللاوعي الذي تتحشد فيه آمال الإنسان وأحلامه ورغباته عارية عذراء لم تعرف قناعاً» (عوض، ١٩٧٨ م: ١٠٣).

نجد مفردات (البحر / النهر / الزورق / الشراع / السفينة / الريح / الأمواج / الطوفان...) منتشرة في قصائد الشاعر، وهي مفردات تتصل بـــ «البحر» وتوحي بحياة الصراع مع الشعور بالغربة، حتى أنّنا نجد عِدَّةَ قصائد معنونة بمثل هذه المفردات.

تتفاعل هذه المفردات لتولّد لدينا شعوراً واضحاً بهمّ الشاعر الذي يعاني في داخله من صراعٍ شديد نتيجة الغربة يترجمه لنا في شعره عن طريق تصوير صراع البحّار وسفينته وأشرعتها مع البحر والرياح..

يخاطب الشاعر نفسه في قصيدة "خلّيك في منفاك":

لا تنشر الأشرعة..

البحرُ بلا موجٍ

و لا ريحَ سوى الآهات... (البكاء على كتف الوطن: ٥٥)

فالشاعر يريد الرجوع إلى الوطن بعد سقوط الديكتاتور العراقي صدام حسين عام ٢٠٠٣م ولكن – كما جاء في هذه القصيدة – خطابات الدراويش / السياسيين في العراق

عن الكرامة والحرية والعدالة كلّها ترّهات لم تحقّق شيئاً للشعب، فيفضّل البقاء في المنفى وعدم نشر الأشرعة / الرجوع إذ ليس في البحر من موج أو ريح حتى يستطيع الوصول إلى أرض الوطن. وفي قصيدة أخرى من ديوان «هذه خيمتي.. فأين الوطن؟» يقول الشاعر:

وما الفائدة ؟
لديّ الشراعُ.. السفينة..
لكنّما البحرُ
لا ماءَ في البحر.. لا ريحَ.. (١٩٩٧م: ٩٥)

فالسماوي يبحث عن الطريقة التي يعود بها إلى بلاده فلديه السفينة والزورق والشراع ولكن الظروف السائدة في العراق لا تساعده على العودة فلا يوجد ماء ولا ريح في هذا البحر الذي يريد ارتياده نحو الوطن.

الماء هنا يرمز إلى الخير والإخصاب والنمو الإيجابي؛ حيث فيه مادة الحياة وفيه سرا خفيا قادرا على قهر الجدب وبعث الخصب والرزق. إن الماء عند هذا الشاعر بما هو أصل الحياة يذكرنا بما وردَ في طيّات النّص القرآني الكريم «و جعلنا من الماء كلّ شيء حيّ» الأنبياء / ٣٠؛ وقد يكون الماء حاملاً لمعنى الثورة على كلّ ظالم سياسيّ أو جور اجتماعيّ.

أما الريح فإنها ترمز إلى القوّة المخصبة المولّدة، فإنها تلقح السحاب، وبذلك يفسّر قوله تعالى: «**وأرسلنا الرياح لواقح**» الحجر / ٢٢. وقد ترمز الريح لغضب الشعب وثورته وانفعالاته، ولما كان السماوي شاعر مقاومة وشاعراً ثورياً، فقد إستعمل رموزاً تتماشى مع مقاومته وثورته فاستخدم رمز الريح دلالةً على القوة ورمزا للمقاومة والثورة وإشارة إلى الإخصاب، ورمزاً للتحدّي:

فمتى ينتفض النخلُ الفراتي
متى تكنس ريحُ القهرِ عار الأزمنة؟ (السابق: ٧٥)

و لدلالة الريح على الدمار جذور دينية، ففي القرآن الكريم استخدمت للعذاب وفي سياق الشدة في قوله تعالى: «وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية»، الحاقة / ٦.

النتيجة

إتّخد يحيى السماوي من الموتيف أداة جمالية تخدم الموضوع الشعري وتؤدي وظيفة أسلوبية تكشف عن الإلحاح أو التأكيد الذي يسعى إليه، وموتيف الإغتراب عنده صورة لافتة للنظر، تشكلت في دواوينه ضمن محاور متنوعة وقعت في الكلمة والعبارة واللازمة والصورة والمعاني. وقد ظهرت في شعره بشكل واضح تجعل القارىء والمستمع يعيش الحدث الشعري المكرّر وتنقله إلى أجواء الشاعر النفسية، إذ كان يضفي على بعض هذه التكرارات مشاعره الخاصة فهي بمثابة لوحات إسقاطية يتخذها وسيلة للتخفيف من حدة الصراع الذي كان يعيشه أو حدة الإرهاصات التي واجهها في حياته، إضافة إلى إحساسه المرهف الذي جعله يعيش غربة روحية وفكرية أيضاً.

كما تبيّن لنا من هذه الدارسة، موتيف الإغتراب من أبرز الموتيفات في شعر السماوي وينطوي على محاور/ موتيفات عدّة كلّها تعود إلى إحساسه بالغربة التي عايشها زهاء عقدين، وتكرار هذه الموتيفات والإلحاح عليها يدلّ على أهميّتها لدى الشاعر؛ تحمل في ثناياها دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الشعري.

المصادر والمراجع

[١] الأبشيهي، أبو الفتح (١٩٥٢م)، المستطرف من كل فن مستظرف، القاهرة، دار أحياء التراث العربي، ج٢.

[٢] ابن منظور المصري، أبي الفضل جمال الدين (١٤١٠ هـ): لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى.

[٣] اسماعيل، عزالدين (١٩٧٢م)، الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط٢، بيروت، دار الثقافة.

[٤] بدوي، محمد جاهين (٢٠١٠م)، العشق والإغتراب في شعر يحيى السماوي، دمشق، دار الينابيع، ط ١.

[٥] تقوي، محمد، إلهام دهقان (١٣٨٨هـ. ش)، «موتيف چيست وچگونه شكل می‌گيرد» (ما هو الموتيف و كيف يتشكل)، طهران، مجلة نقد ادبي، جامعة تربيت مدرس، العدد ٨، صص ٢٧ – ٧.

[٦] دلشاد، جعفر وآخرون (٢٠٠٨م)، «الغربة في الشعر العراقي: الشاعر العراقي المهاجر نموذجاً»، طهران، جامعة تربيت مدرس، مجلة العلوم الإنسانية الدولية، العدد ١٥ (٤)، صص ٦٣-٧٥.

[٧] السماوي، يحيى (١٩٩٣م)، قلبي على وطني، جدة، الناشر عبدالمقصود خوجة.

[٨] ـــــــ، (١٤١٥هـ)، عيناك لي وطن ومنفى، ط١، جدة، منشورات دار الظاهري.

[٩] ـــــــ، (١٩٩٧م)، هذه خيمتي.. فأين الوطن؟ ط١، ملبورن، استراليا، مطبوعات R.M.Gregory

[١٠] ـــــــ، (٢٠٠٣م)، الأفق نافذتي، إديلايد، استراليا، EUREKA

[١١] ـــــــ، (٢٠٠٥م)، نقوش على جذع نخلة، استراليا، منشورات مجلة كلمات – سيدني.

[١٢] ـــــــ، (٢٠٠٦م)، قليلك.. لا كثيرهنّ، جدة، منتدى الإثنينية.

[١٣] ـــــــ، (٢٠٠٨م)، البكاء على كتف الوطن، ط١، دمشق، التكوين للتأليف والترجمة والنشر.

[١٤] ـــــــ، (٢٠٠٨م)، مسبحة من خرز الكلمات، ط١، دمشق، التكوين للتأليف والترجمة والنشر.

[١٥] ـــــــ، (٢٠١٠م)، شاهدة قبر من رخام الكلمات، دمشق، دار الينابيع، ط٢.

[١٦] ـــــــ، (٢٠١٠م)، لماذا تأخرت دهراً، دمشق، دار الينابيع.

[١٧] الشامي، حسن (٢٠٠٧م)، «مفاهيم أساسية في دراسة الموروث الشعبي الشفهي»، الرياض، مجلة الخطاب الثقافي- دراسات، جامعة الملك سعود، العدد الثاني، صص٥٩-٦.

[١٨] شرتح، عصام (٢٠١١م)، آفاق الشعرية / دراسة في شعر يحيى السماوى، دمشق، دار الينابيع.

[١٩] شمسي، حسن جبار محمد (٢٠٠٨م)، ملامح الرمز في الغزل العربي القديم، لندن، دار السياب، ط ١.

[٢٠] طه، المتوكل (٢٠٠٤م)، حدائق إبراهيم، بيروت، الموسسة العربية للدراسات والنشر، ط١.

[٢١] الطيب، عبدالله (١٩٧٠م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج٣، بيروت، دار الفكر، ط١.

[٢٢] عرايدي، نعيم (١٩٩١م)، البناء المجسم – دراسة في طبيعة الشعر عند محمود درويش، عكا، موسسة الأسوار، ط١ .

[٢٣] عوض، ريتا (١٩٧٨م)، أسطورة الموت والإنبعاث في الشعر العربي الحديث، بيروت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر.

[٢٤] المرزوقي، عبدالله فرج (٢٠٠٥م)، الشعر الحديث في قطر: تطوره واتجاهاته الفنية، قطر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، إدارة الثقافة والفنون، قسم الدراسات والبحوث، ط ١.

[٢٥] مغنية، أحمد جواد (٢٠٠٤م)، الغربة في شعر محمود درويش، بيروت، الفارابي، ط١.

مراجع الإنترنت

[٢٦] الطالبي، علي مولود (٢٠١١م): «يحيى السماوي.. وقنديله الشعري»، مقابلة مع الشاعر، صحيفة المثقف الكترونية، العدد: ١٧٤٠،

http://www.almothaqaf.com/index.php?option=com

موتیف غربت در شعر یحیی سماوی

رسول بلاوی[١]، مرضیه آباد[٢]، عباس طالب زاده شوشتری[٣]، عباس عرب[٤]

تاریخ دریافت: ۱۳۹۰/۱۱/۲۹ تاریخ پذیرش: ۱۳۹۱/۳/۳۰

موتیف (که در زبان فارسی به آن درون مایه یا بن مایه گفته می‌شود)، به‌عنوان عنصری مهم در نقد وتحلیل متون ادبی، در نقد اروپایی مورد توجه قرار گرفته است. اصل کلمه‌ی «موتیف» فرانسوی است ودر ادبیات به معنای فکر اصلی، یا موضوع یا لفظ تکرار شونده، یا عامل و انگیزه است. موتیف‌ها در شعر حاوی دلالالت‌های نمادینی هستند که با روح و اندیشه‌ها و عواطف شاعر ارتباطی تنگاتنگ و بنیادین دارند.

غربت به معنای زندگی کردن در جایی دور از وطن، گاه نزد شاعر به موتیف بدل می‌گردد و آن زمانی است که وی ناگزیر می‌شود دور از وطن و هر آنچه دوست می دارد و بدان مأنوس است زندگی کند، در قالب کلمات، عبارات، تصاویر ومعانی به تکرار آن بپردازد.

مقاله حاضر بر آن است که بر مبنای روش توصیفی – تحلیلی، چگونگی به‌کارگیری موتیف غربت را در شعر یحیی سماوی، شاعر عراقی مقیم استرالیا بیان دارد. موتیف غربت آشکارا در شعر این شاعر جریان داشته و با جان وی و شیوه زندگیش گره خورده است. این پژوهش از یک سو به‌کار بستن موتیف را به مثابه یکی از عناصر کلیدی وسازنده‌ی شعر یحیی سماوی نمایان می‌سازد واز دیگر سو به موتیف‌هایی نظر افکنده که نماینده غربت و آوارگی در شعر وی هستند، درون مایه‌هایی چون اندوه، مرگ، زن، دلتنگی وغم غربت ونمادهای دیگری از این دست که نشان از غربت شاعر دارند همچون: پرندگان مهاجر، دریا، باد.

کلید واژگان: شعر عراقی، موتیف، یحیی سماوی، غربت، شوق وطن، نماد.

---

١. طالب دكتوراه فرع اللغة العربية وآدابها في جامعة فردوسي مشهد، r.balawi@yahoo.com

٢. استاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها جامعة فردوسي مشهد، mrz_abad@yahoo.com

٣. استاذ مشارک في قسم اللغة العربية وآدابها جامعة فردوسي مشهد

٤. استاذ مشارک في قسم اللغة العربية وآدابها جامعة فردوسي مشهد

Estrangement Themes in the Poetry of Yahia al-Samavy

Rasool Balawi[1], Marziyeh Abad[2], Abbas Talebzadah Shushtari[3], Abbas Arab[4]

Received: 2012/2/18 Accepted: 2012/6/19

Abstract

This study is aimed at exploring the themes of estrangement and his constant longing for home in Yahia al-Samawy's poetry. A theme that has re-invented, and presented itself in most of the poet's work, influenced by his life and personal experiences.

The study attempts to identify and define this theme as a form of art through the poet's work, discovering its motives, and how it could be employed as a method to communicate a message within a poetic story. It puts under the spot light the poet's preference and desire to include this theme in its varying forms more than any other theme in his work.

If the theme of estrangement was a fruitful tree then the sub-themes of sadness and death would serve as its branches, and the fruits would carry the colors of black and white, they would taste nostalgic, and feel like love, loss, sadness and the far seas, migrating birds, a lone tent in the desert, and a wondering Sinbad. All combined, the tree, its branches and fruits would work as one to deliver the poem's ultimate melody, while conversing the poet's story.

Keywords: Iraqi Poetry, Motive, Yahia al-Samawy, Roving, Nostalgia.

1. PhD Student, Department of Arabic Language & Literature, Ferdousi University, Mashhad, Email: r.balawi@yahoo.com
2. Assistant Professor, Department of Arabic Language & Literature, Ferdousi University, Mashhad, Email: mrz_abad@yahoo.com
3. Associat Professor, Department of Arabic Language & Literature, Ferdousi University, Mashhad.
4. Associat Professor, Department of Arabic Language & Literature, Ferdousi University, Mashhad.